

المعارف الجغرافية البابلية

الاستاذ المساعد الدكتور عامر الجميلي/ كلية الآثار / جامعة الموصل

عني البابليون بتدوين بعض معارفهم الجغرافية، ولكن بأسلوبهم الخاص، نستدل على ذلك من خلال النصوص المسمارية ذات العلاقة والتي خلدوها لنا. فرسموا خرائط للمدن والأراضي، وحددوا الأبعاد والاتجاهات الأربعة وثبتوا أسماء المدن والبحار والأنهار وإلى غير ذلك من المعلومات التي تقع ضمن حقل الجغرافية، وتعكس تلك المعلومات الجغرافية تصور البابليين القدماء آنذاك حول مواقع المدن ومراكزها بالنسبة لبعضها البعض، وبالنسبة إلى الأنهار والبحار والجبال وتثبت المسافات وبعض الحقائق الأخرى ذات العلاقة.

وقد وردتنا نصوص مسمارية ضمت أسماء الأنهار والبحار والجبال والصحارى والأهوار وغيرها من التضاريس التي ميزت بلاد بابل آشور والبلدان الأخرى، التي كانت على صلة بالدول والممالك التي قامت في العراق القديم، سواء عن طريق الحرب أو السلم، فضلاً عن مفاهيم جغرافية أخرى.

ففي مجال معرفة قياس الزمن وتنظيم الوقت والتقويم فقد قسم البابليون دائرة السماء الى ١٢ ساعة من ساعاتهم (والساعة البابلية، تساوي ساعة مضاعفة من ساعتنا)، وقسموا سمت الشمس او دائرة البروج (Ecliptic) الى اثني عشر قسماً بواسطة مجموعة من النجوم الثوابت اطلقوا عليها اسماء حيوانية او آدمية او خرافية، وهي ما تعرف بالبروج الاثني عشر (Zodiac) حيث تمر الشمس في كل شهر من الأشهر الاثني عشر في مدارها السنوي بإحدى تلك المجموعات، وهذا اصل البروج الاثني عشر المستعمل الى هذا اليوم وقسموا كل برج منها الى ٣٠ درجة تطابق عدد ايام الشهر المثالية، ويتفق الباحثون في هذا المجال على أن

العراقيين القدماء لهم قصب السبق في معرفة قياس المسافات الواقعة بين النجوم الثابتة. كما استعان الفلكيون البابليون بمعلوماتهم الرياضية المتقدمة في حساباتهم الفلكية حتى انهم استعملوا المتواليات الحسابية الهندسية في تعيين الأوقات وأطوال الليل والنهار بحسب فصول السنة المختلفة، وكذلك استعملوا المتواليات الحسابية المتصاعدة والمتناقصة في معرفة ازمان طلوع القمر وغروبه، وفي رصد بعض الكواكب مثل كوكب الزهرة.

ومع ان كلمة الاسطرلاب ترجع الى اصل يوناني الا ان الفكرة والمبدأ يرجعان الى فلكيي العراق القديم، فكان الاسطرلاب البابلي اول محاولة علمية في التأريخ لوضع المعلومات الفلكية عن النجوم التي تظهر في الفصول المختلفة من السنة في نظام وترتيب علمي، وكان الاسطرلاب البابلي على شكل جدول (سجل) بعدد من الكواكب التي تظهر في الاشهر الاثني عشر وقد خصصوا لكل ثلاثة نجوم تظهر فيه وعدد نجوم اشهر السنة ٣٦ نجماً.

وقد خلفوا لنا نماذج من هذه الاسطرلابات على الواح الطين وقوامها قرص دائري رتبت النجوم فيه على شكل ثلاث دوائر ذات مركز واحد وقسم القرص الى اثني عشر قطاعاً خصص كل قطاع الى شهر من الاشهر، ووضع في كل قطاع النجوم الثلاثة التي تظهر فيه.

كما استعمل البابليون الات خاصة لقياس الزمن، هي الساعات المائية (Clypsydra) التي عرفت في اللغة السومرية بصيغة GIŠ. DIB. DIB وفي اللغة الأكديّة ديببُ dibdibbu وكانت الغاية من هذه الالة قياس الساعات في الليل فضلاً عن استخدامهم الساعات الشمسية (المزولة) نهاراً. وعلينا ان نتذكر أن الاثنتي عشرة ساعة التي هي عدد ساعات اليوم عند العراقيين القدماء والتي تساوي ٣٦٠ دقيقة، وهذا يشير الى مقياس الكيل التي هي الوزنة، والوزنة تساوي ٦٠ مّناً، وهذا ما يعادل وزن انسياب الماء في الساعة المائية التي كانت تستخدم

لقياس الزمن ابان اجتياز نجمتين خط منتصف النهار، بحيث تغدو الساعة (بيرو bēru) هي ايضاً مقياساً متجولاً.

وحين اتخذ العراقيون القدماء وبشكل نهائي، بداية تأريخ العام الجديد بالفتاح من شهر نيسان، أي: في الاعتدال الربيعي، والسنة المثالية المكونة من ٣٦٠ يوماً مقسمة الى ١٢ شهراً، وفي كل شهر ٣٠ يوماً، كانت هذه السنة قصيرة جداً، اذ كان ثمة نقص شهر كل ست سنوات، الامر الذي سيعكس فصلي الشتاء والصيف خلال ٣٦ سنة.

لذا اضافوا شهراً اخر كل ثلاث سنوات، وكانوا يضيفون هذا الشهر، اما في الشهر السادس، أي: عند موسم جني التمر، او في الشهر الثاني عشر، أي: عند موسم الحصاد. وغالبا ما كانت اسماء شهورهم مقترنة بحصاد القمح او يقرونون البعض منها بأسماء اعيادهم الدينية.

ويعتقد معظم العلماء أن البابليين هم اول من اوجد النظرية الكوكبية او القمرية التي مكنتهم من تحديد زمن ظهور الهلال في اول كل شهر قمري. ويؤكد الباحث Neugebauer على أن حساب حركة القمر هو من بين احسن الانجازات في العصور القديمة ويمكن اقرانها بأعمال علماء الفلك من اليونان والرومان. ومن الشائع ان العراقيين هم اول من استطاع تقسيم السنة الى فصول، وكانوا على علم بالاعتدال الربيعي ووقت حصوله في نيسان وفي ذلك نقراً ملاحظة موجهة الى الملك ومؤرخة من العصر الآشوري الحديث (٩١١ - ٦١٢ ق.م):

"في اليوم السادس من شهر نيسانيتساوى النهار والليلست ساعات نهاراً وست ساعات ليلاً".

وقسم العراقيون القدماء السنة الى ١٢ شهراً واطافوا شهراً آخر كل ٣ سنوات، وعلى الرغم من معرفتهم بالأسبوع واقامتهم للاحتفالات في بداية كل شهر

وفي اليوم السابع منه وفي منتصفه وفي اليوم الاخير منه، الا انهم كانوا يعودون الى اليوم الاول من الاسبوع عند بداية كل شهر جديد. وكان اليوم مقسما الى ١٢ ساعة (بيرو bēru) وكانت كل ساعة بابلية تساوي ضعف الساعة من ساعات يومنا الحالي. وكان المنطلق من الاعتدال في تقسيم الليل والنهار المتساويين في تلك الفترة، الى عدد متساو من الساعات. وكانت الساعة مقسمة الى ٦٠ دقيقة لكل منها (أي تساوي الدقيقة ضعف الدقيقة الحالية)، والدقائق الى ثوان. ونحن اليوم على الرغم من تقسيمنا اليوم الى ٢٤ ساعة، احتفظنا في عقارب الساعة بالرقم ١٢ فبقينا والحالة هذه ورثة للبابليين.

أما تسميات الأشهر المستخدمة فلا بد من الإشارة الى ان معظم تسميات الأشهر المتداولة الان في العراق وبعض الاقطار العربية المجاورة والتي تسمى خطأ بالأشهر الرومية او السريانية او العبرية، انما ترجع اصول تسمياتها الى تراث العراق القديم، وقد وصلت الينا عن طريق السريان او اليهود وعلى هذا الوجه تؤصلها المعاجم العربية. ولعله من المفيد ايراد اسماء الأشهر العراقية القديمة كما عم استعمالها في التقويم البابلي من بعد توحيدها وجعلها مطردة الاستعمال منذ العصر البابلي القديم (مطلع الالف الثاني ق.م) وهي ابتداء من السنة البابلية في شهر نيسان:

١. نِسَانُ nisānu (الشهر الاول البابلي يقع ما بين آذار ونيسان).
٢. أَيَّارُ ayāru (الشهر الثاني البابلي بين نيسان وآيار – مايس -).
٣. سِمَانُ simānu او سيوان (الشهر الثالث البابلي ما بين ايار وحزيران).
٤. تَمُوزُ اودُوزُ dūzu (الشهر الرابع ما بين حزيران وتموز).
٥. أَبُ abū (الشهر الخامس البابلي ما بين تموز وأب).
٦. أُولُ ulūlu (الشهر السادس البابلي ما بين آب وايلول).

٧. تاشرتُ tāšritu (الشهر السابع البابلي ما بين ايلول وتشرين الاول).
٨. ارخُ سمن arahsaman (أي الشهر الثامن ما بين تشرين الاول وتشرين الثاني).
٩. كيسلمُ kislmu (الشهر التاسع البابلي ما بين تشرين الثاني وكانون الاول).
١٠. طبتُ tēbetu (الشهر العاشر ما بين كانون الاول وكانون الثاني).
١١. شَبَطُ šabaṭtu (الشهر الحادي عشر ما بين كانون الثاني وشباط).
١٢. اَدْرُ addaru (الشهر الثاني عشر ما بين شباط وآذار). فضلا عن ذلك يوجد شهران كيبسان، ايلول الثاني وآذار الثاني (SE : (KIN.II.KAM (.MA)), ((.KIN.KU5).DIR
١٣. ارخُ مَرخُ شَ اَدْرُ arhumarhušáaddaru (وهو الشهر الثالث عشر الكبيس الذي يضيفونه الى سنتهم بين كل سنتين او ثلاث لتتفق اشهرهم القمرية وسنتهم القمرية مع السنة الشمسية). ويسمى ايضا اَدْرُ ارك addaruarku أي اذار الثاني او الآتي.

وفي مجال قياس المسافات وأدب الرحلات، فقد وصلنا نص بابلي قديم يعود إلى الألف الثاني ق.م، عُرف بـ رحلة بابلية قديمة، او الطريق الى ايمار، ويحتوي على مسارات او مخططات رحلة (Itinerary) ذهابا وايابا، مع ذكر المسافة بين مدينة واخرى والزمن الذي تستغرقه الرحلة بين هذه المدن، حتى ان احد الباحثين وصفها بـ دليل السائح او مرشد المسافرين، ويصف هذا النص طريقا من بلاد الرافدين وتحديداً من مدينة لارسا (السنكرة) الى بلاد آشور مروراً بشمالي سوريا ومنها الى جنوبي تركيا وكانت كل تلك المحطات المذكورة الرئيسة والثانوية تبعد احداها عن الاخرى مسيرة يوم واحد، واذا ما استغرقت اكثر من ليلة واحدة في مكان ما، تتم ملاحظة ذلك بعبارات مثل عندما انكسرت العربة او عندما توقف

الجند للراحة على مدى يومين وكانت رحلة كل يوم تستغرق ٢٥ - ٣٠ كم تقريباً. وهذا يطابق السفر على الأقدام او في النهر بوساطة القارب.

وفي مجال علم المناخ فقد تناول البابليون القدماء دراسة الأحوال المناخية والعوامل المؤثرة فيها، اذ عُد المناخ في العراق القديم اهم حافز طبيعي للإنسان للبحث عن الوسائل والسبل التي يقلل بها من اثاره القاسية وفي مقدمة العناصر المناخية المؤثرة، الحرارة والامطار، فقد احس العراقيون القدماء بذلك منذ القدم واحتاطوا لها ولا سيما العنصر الاخير عن طريق معرفة مواسم سقوط الامطار وأماكن تجمعها. وكان من نتيجة ذلك ان وجه القوم عنايتهم منذ اقدم العصور نحو معرفة الانواء الجوية، ومواسم هبوب الرياح واتجاهاتها ومواسم سقوط الامطار وبدايات الفصول ونهايتها، حتى انعكس ذلك على ادبياتهم ومعتقداتهم الدينية، فلا تخلو ملحمة او أسطورة أو غيرهما من النصوص من ذكر الرياح والأمطار والغيوم والعواصف. وتبرز في هذا المجال جوانب جغرافية عديدة، ولا سيما دراسة المناخ وعناصره ومعرفة خصائصه والعوامل التي تتحكم فيه والتي عنى فيها الانسان العراقي منذ القدم. على الرغم من ان الأدلة الاثرية الكتابية تشير الى ان احوال المناخ في بلاد الرافدين لم تختلف جوهريا عما كانت عليه قبل عشرة الاف سنة قبل الوقت الحاضر.

وارتبطت معارف العراقيين القدماء بما له علاقة بالمناخ بالآلهة وطبيعة خلقها ونشاطاتها، الا انهم على الرغم من هذه النظرة الغيبية لتفسير الظواهر الجوية نجدهم برعوا في ارساء الاسس الصلدة لإقامة المعارف الجغرافية المتسمة بالنظرة الواقعية في تفسير بعض الظواهر الطبيعية ولاسيما ما يتعلق منها باستخدام المصطلحات الخاصة بالمناخ والطقس. ولا يحتاج الباحث الى اكثر من نظرة فاحصة في بعض النصوص المسمارية او المعاجم المتخصصة ذات العلاقة للتأكد من معارف البابليون القدماء بالجغرافية والمناخ ومكانة تلك المعارف في ارساء

الاسس التي اقيم عليها علم الجغرافية. وبدءاً فقد اطلقوا على الجو او النوء او الهواء اسم (LÍL) في اللغة السومرية وخصصوا للجو والهواء الها دعي بـ (EN. LÍL) أي سيد الهواء والجو والريح وهو من الالهة الرئيسة في العراق القديم وكان مركز عبادته في مدينة نُقْر التي كانت تدعى (EN. LÍL.KI) أي مدينة الاله انليل.

وفي الجغرافية البشرية والتحولات السكانية فقد أشارت النصوص المسمارية البابلية إلى ظاهرة الترحيل والتوطين الجغرافي والتغيرات السكانية (الديموغرافية)، فقد ذكرت النصوص العائدة إلى العصر البابلي الإمبراطوري (٦٢٦ - ٥٣٩ ق.م) وتحديدًا في فترة حكم الملك لنبوخذ نصر الثاني (٦٠٤ - ٥٦٢ ق.م) أنه جهّز حملة عسكرية إلى منطقة فلسطين وحاصر مدينة اورشليم (القدس) ثم فتحت المدينة عام (٥٩٧ ق.م) وأجلى سبعة الاف شخص من القادة والموظفين والجنود وزوجات ملك يهوذا (يهويا كيم) الذي مات في أثناء حصار المدينة، وكذلك من بينهم الملك الجديد يهويا كين ابن الملك المتوفي وبقية أفراد الأسرة المالكة، وأخذوا أسرى إلى بلاد بابل. وعين صدقيا ملكاً على يهوذا. إلا أن مصر لم تتوقف عن تحريض يهوذا على التمرد ومدّها بالعون، وقد نجحت محاولاتها في السيطرة على عدد من المدن الفلسطينية نجاحاً محدوداً ومؤقتاً مما دفع صدقيا لإعلان تمرده ضد الملك البابلي على الرغم من التحذيرات التي حذره إياها نبي اليهود ارميا فاضطرت الحاميات العسكرية البابلية إلى الانسحاب فقام نبوخذ نصر بتجهيز حملة جديدة اجتاحت المنطقة وهزمت القطعات المصرية وحاصرت اورشليم ثانية ولمدة سنة ونصف السنة إلى أن تم فتحها وذلك عام ٥٨٦ ق.م وعوقب رؤوس التمرد والعصيان وأجلى أهم السكان الذين يقدرون ما بين (٤٠,٠٠٠ - ٥٠,٠٠٠) شخص إلى بلاد بابل.

وفي مجال الجغرافية السياسية فقد وصلتنا العديد من المعاهدات وهي العقود

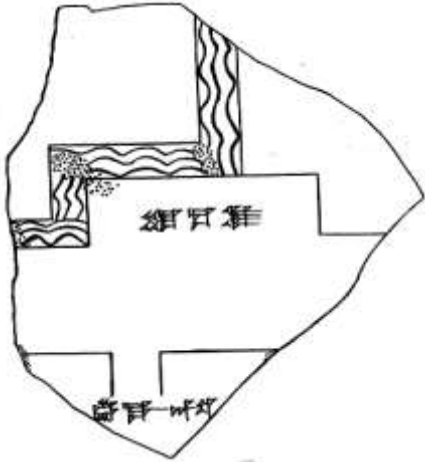
التي تنظم العلاقة بين دولتين أو أكثر وتعنى بالقضايا السياسية والعسكرية وقضايا الحدود ومركزية الدولة. وقد وصلتنا نماذج من معاهدات بابلية من العصور القديمة والوسيطة (الكشّية) والحديثة (الكلدية).

وفي مجال الجغرافية التاريخية فقد كان للبابليين في هذا المجال باع طويلة، إذ كانت كتاباتهم في هذا الشأن تمثل مصدراً من مصادر ظهور الجغرافية التاريخية، والأمثلة على ذلك كثيرة، فقد كتبوا التاريخ مع التأكيد على الجانب الجغرافي، وقد وردنا العديد من نصوص الملوك البابليين، وفيها ترد أسماء مدن وبلاد ضمتها حملاتهم العسكرية، ومن بين هؤلاء الملوك حمورابي (١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق.م) الذي ذكر مدناً في بلاد بابل وآشور وسهل ديالى وغيرها من المناطق، كذلك الملك البابلي نبوخذ نصر الأول (١١٢٤ - ١١٠٣ ق.م) الذي ذكر لنا مناطق في شرق العراق وتحديداً مدينة ديرا (تل العقر) ومناطق بدره في محافظة الكوت على الحدود مع إيران حالياً. وكذلك الملك البابلي نبوخذ نصر الثاني حيث نطالع في كتاباته أسماء العديد من المدن في فلسطين وأجزاء من بلاد الشام، والأمر اللافت للنظر هو إيراد الملك البابلي نبونائيد لمدن في الجزيرة العربية إبان فترة إقامته الطويلة والتي استغرقت عشر سنوات ترك فيها بابل ومكث في تيماء، ونطالع في مسلة تعود لفترة حكمه عثر عليها في خرائب الجامع الكبير في مدينة حرّان إلى الجنوب الشرقي من مدينة أورفا جنوب تركيا، ومسلة أخرى عثر عليها في مدينة تيماء شمالي السعودية، ويسرد لنا في كلا المسلتين أسماء مدن مثل يثربو (يثرب - المدينة المنورة-) و ادومو (دومة الجندل) و بدكو (فدك) و تيماء (تيماء) وغيرها. فضلاً عن أسماء القبائل التي قاتلها في الجزيرة العربية، وبصورة عامة يعتبر هذا النص مصدراً ذا قيمة كبيرة في دراسة الجغرافية التاريخية للجزيرة العربية في العصر البابلي الحديث (٦٢٦ - ٥٣٩ ق.م).

وفي مجال رسم الخرائط والمخططات، فقد استأثرت هذه الأداة عناية البابليين،

وشهدت تطوراً كبيراً وملحوظاً، وكانت إحدى المرتكزات المعرفية لحضارة البابليين، وقد جاءت الخريطة البابلية القديمة بمواضيع عديدة، تمثلت بخرائط المدن وخرائط المناطق المحلية والخرائط الزراعية والتضاريسية، فضلاً عن خرائط مناطق بعيدة كالمقاطعات وخريطة العالم وتفرعت هذه المواضيع الرئيسية الى مواضيع ثانوية اخرى كما هي الحال في خرائط المدن التي شملت استعمالات الارض (Land Use) وكذلك خرائط المدن المسكونة وشبكات الري والخرائط المساحية (خرائط الاراضي العقارية) ومخططات الأرض والمعابد والبيوت والخرائط الفلكية وغيرها. ولخرائطهم اهمية بالنسبة لحياتهم اليومية لانهم استخدموها للاستطلاع والبناء وادارة المعاملات التجارية وفرض الضرائب والسفر وشن الحملات بل حتى في المقاضاة امام القانون احياناً.

وقد وصلتنا من العصر البابلي الحديث (٦٢٦ - ٥٣٩ ق. م) كسرة من رقيم طيني لخريطة من مدينة بابل (بابل الجديدة)، رسمت عليها نقاط وخطوط متموجة واشارة لنهر ينحدر على هيئة مدرجات ويجري خارج سور المدينة ويعتقد انه نهر الفرات، كما دونت في وسط كسرة الخريطة كلمة توب tuba وهي احدى



خريطة من بابل من العصر البابلي الحديث

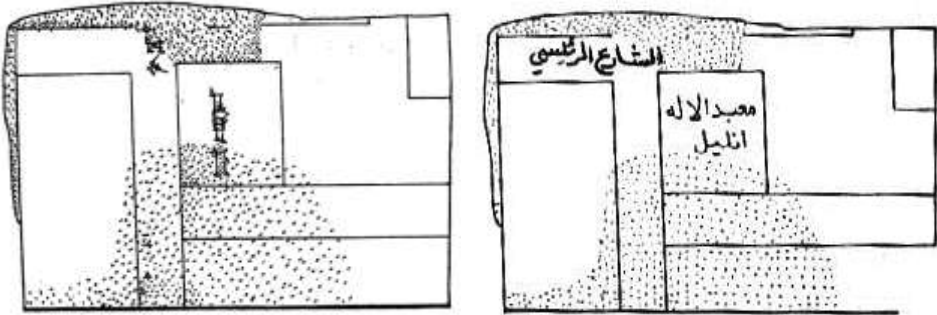
ضواحي مدينة بابل في العصر البابلي الحديث وهي ليست مدينة توبا العيلامية التي غزاها ودمرها الملك الآشوري اشور- بان - ابل (اشوربانيبال) كما ذهب بعض الباحثين، وفي الاسفل يشاهد باب او بوابة واسعة كتب عندها بوابة الاله شمش (الاله الشمس) والملاحظ ان اتجاه الخريطة مرسوم ليس باتجاه الجنوب الشرقي.

كما وصلتنا خريطة أخرى من مدينة بابل وهي كسرة من رقيم طيني لخريطة مدينة بابل، عُلِمَ عليها قناة من نهر الفرات تدعى اراختو في الجزء العلوي منها، والذي عين بالاتجاه الشمالي الغربي، وخاصة القصر والبرج، وان الحدود العامة للخريطة غير واضحة، وقد حددت القطعة العائدة الى القصر الواقعة على ضفة نهر اراختو وهو نهر بابل مما يدل على ان هذه القطعة تعود الى احد ملوك بابل، وتشمل منطقة زراعية محددة ثبتت ابعادها.



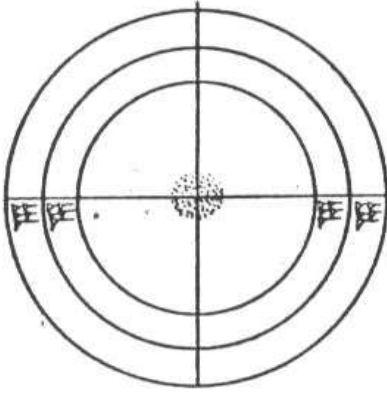
خريطة مدينة بابل

كما وصلتنا خريطة أخرى لمدينة بابل أو نُقْر وهي كسرة طينية رسمت في وسطها ابنية معبد الاله انليل، وبجانبه رسم الشارع الرئيس، والذي عرف في اللغة الأكديّة سوقٌ - ريشتُ sūqu - reštu اما اتجاه الخريطة فهو على الرغم من انه يعني مدينة نُقْر، إلا انه عكس اتجاه خريطة اخرى شهيرة لمدينة نُقْر ويسمى الشارع الرئيس يا - ابيرُ - شابو الذي تقام عليه المواكب الدينية.



خريطة ثانية لمدينة بابل أو نُقْر

ومن الأمثلة الأخرى لمخططات المدن والمستوطنات ، نجده على لوح طيني يعود الى العصر البابلي القديم ، نقش على لوح قرصي الشكل قطره ٩سم يتضمن مخططاً لمدينة دائرية الشكل يحيط بها سوران دائريان والمخطط صورة توضيحية لمسألتين رياضيتين وردتا في النص تتعلق الأولى منها بحساب ابعاد سور دائري اقيم حول مدينة ما ، اما المسألة الثانية فتتعلق بحساب سور جديد للمدينة في حالة توسع مساحتها وهدم سورها القديم ، وما يهمنا من هذا اللوح ومن لوح اخر يتضمن صورة موقع لتخطيط مدور ايضا هو شكل مخطط المدينتين فيهما والذين صوروا وفق نمط دائري يحيط بأحدهما خندق وبالأخرى سورا او سوران وهي اشارة فريدة من نوعها تدل على انتشار وشيوع مثل هذا النمط من التخطيط الحضري، النمط الدائري- على الأقل منذ العصر البابلي القديم.

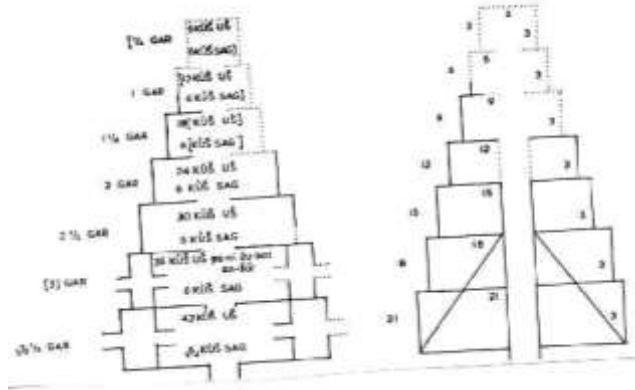


مرتسم يوضح مخططين لمدينتين دائريتين من العصر البابلي القديم

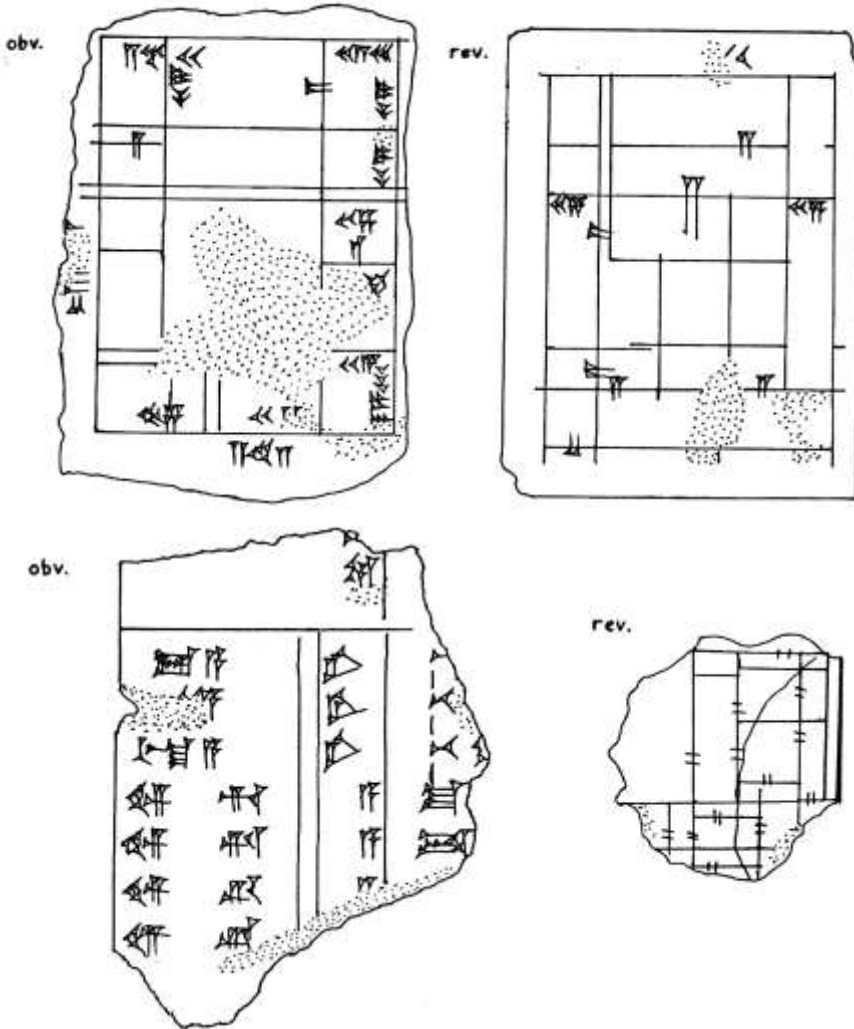
كما وصلتنا من العصر البابلي القديم خريطة اساس لمنزل في سبّر - يخرورم (تل الدير بالقرب من بغداد حالياً) isirtubītsipparjahrūrurum وهي تركيب مهم يوضح غرف من المفترض انها مستخدمة لأغراض حكومية، ربما في محطة

تجارية، وتصنّف احدى الغرف على انها محل حلاقة بيت كلابيم bītgalabim، اما الاخرى فتحدت بانها ايشرتم eširtum - حَرَمٌ - وعلى ما يبدو هناك جدار منخفض وفيه مدخل مباشر الى قدس الاقداس با - باخ PAH. PA. وليس هناك غرفة في هذا المبنى لديها أي مخرج موضح. ويبدو من مجمل هذه الخريطة أنها تمرين مدرسي منجز اثناء عملية تعليمية لمساح.

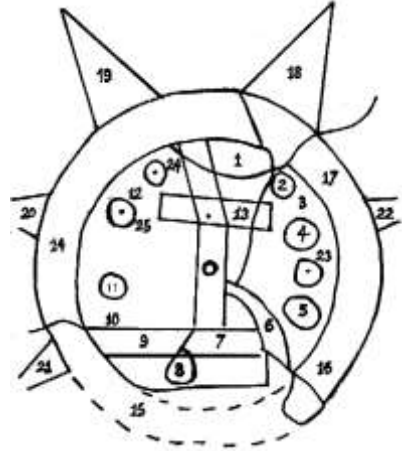
ويوضح لنا نص مسماري يعرف باسم (رقيم اساكيل) للكاتب أنو- بيل- شونو، يتناول خريطة تتضمن أبعاد الزقورة، خريطة اساس لارتفاع زقورة ذات ست او سبع طبقات في الاصل، وتكمن الصعوبة فيما لو كان هذا المخطط مبنى حقيقي او انه تمرين مدرسي أنموذجي، ويلاحظ ان اجمالي الارتفاع والطول والعرض عند القاعدة يبلغ (٤٢ KUŠ = أمتُ ammatu (ذراعاً)) يرجع زمنه الى العصر السلوقي ومؤرخ بسنة ٢٢٩ ق.م أي سنة ٨٢ سلوقية، من عهد سلوقسكالينوس، عثر عليه في الوركاء، ويبدو انه كان نسخة من رقيم أقدم من بورسبا.



كما وصلنا لوح اخر من بابل ومن العصر البابلي الحديث ايضا من السلسلة المعجمية HAR – ra= hubulluI, 11. 114 – 120 التي انجزها كاتب خاضع للتدريب. في الجزء الخلفي (القفا) هناك مخطط لمنزل ربما محذوف بخط منحني، سَمِحَ ذي خط منفرد لتقسيم الغرف وذي خط مزدوج مستعرض لتحديد الفتحات، وهذا المخطط تقليد ومحاكاة لمنزل ومخططات مساحية.



خريطة العالم البابلية:



1. <i>ša - du - [ú]</i>	جبل	2. URU	مدينة
3. <i>ú - ra - ár - tu[m]</i>	اورارتو	4. ^{KUR} <i>aš</i> + ^{šur} <i>ki</i>	بلاد آشور
5. <i>dér</i> (^{BÀD. AN}) ^{KI}	دير (بدره)	6. <i>X - ra[.]</i>	
7. <i>ap - pa - r [u]</i>	مستنقعات	8. [<i>š</i>] <i>uša[n]</i> ([<i>m</i>] ^{ÚŠ} . [^{EREN}] ^{KI} ?)	سوسة
9. <i>bit - qu</i>	قناة	10. <i>bit - ia - ' - ki - nu</i>	بيت ياكين
11. URU	مدينة	12. <i>ha - ab - ban</i>	خبان
13. ^{TIN. TIR} ^{KI}	بابل	14 - 17. ^{id} <i>mar - ra - tu</i>	محيط
18. ^{BÀD. GU. LA}	قلعة عظيمة	19 - 22. <i>na - gu - ú</i>	اقليم، جزيرة

ثُرِينَا هَذِهِ الْخَرِيطَةُ نَظْرَةً وَتَصَوْرَ الْعِرَاقِيِّينَ الْقَدَمَاءَ بِلْ وَشُعُوبِ الشَّرْقِ الْإِدْنَى الْقَدِيمِ لِلْكَوْنِ وَهِيَ أَقْدَمُ خَرِيطَةٌ رَسَمَهَا سَكَانُ بِلَادِ الرَّافِدِيِّينَ الْقَدَمَاءَ لِلْعَالَمِ. وَقَدْ رَسَمْتَ عَلَى لَوْحٍ مِنَ الطِّينِ وَتَمَثَّلَتْ حَمَلَةٌ شُرُوكِيْنَ (سَرْجُون) الْإَكْدِيَّ عَلَى بِلَادِ أَسِيَا أَوْ أَسِيَا الصَّغْرَى، وَيَحْتَمَلُ أَنْ الْخَرِيطَةُ تَرْجِعُ إِلَى أَوَاخِرِ الْقَرْنِ الثَّامِنِ أَوْ السَّابِعِ ق.م، وَتَصَوْرُ الْخَرِيطَةُ الْإَرْضَ عَلَى هَيْئَةِ دَائِرَةٍ أَوْ قَرَصٍ يَحِيطُ بِهَا الْإَوْقِيَانُوسُ (الْمَحِيطُ) السَّمَاوِيَّ الْمُرْسُومَ بِحَلْقَةٍ مَزْدُوجَةٍ وَيُظْهِرُ فِي هَذِهِ الْخَرِيطَةِ نَهْرَ الْفِرَاتِ يَجْرِي فِي وَسْطِ الْإَرْضِ وَالَّذِي يَخْتَرِقُ وَسْطَ الدَّائِرَةِ مِنَ الشَّمَالِ إِلَى الْجَنُوبِ عَلَى شَكْلِ خَطِّينِ مُتَوَازِيَيْنِ، رَسَمْتَ عَلَيْهِ مَدِينَةَ بَابِلَ بِرَمْزٍ هِنْدَسِيٍّ مُسْتَطِيلِ الشَّكْلِ يَقْطَعُ النَّهْرَ بِصُورَةٍ عَمُودِيَّةٍ فِي نَقْطَةٍ تَقَعُ فَوْقَ وَسْطِ الدَّائِرَةِ، أَيْ أَنَّ بَابِلَ وَضَعْتَ فِي مَرْكَزِ الْخَرِيطَةِ إِشَارَةً إِلَى مَوْقِعِهَا فِي مَرْكَزِ الْكَوْنِ. وَهَذَا تَقْلِيدٌ كَارْتُوكْرَافِيٍّ (خَرَائِطِيٍّ) سَارَ عَلَيْهِ مَحْرُورٌ وَمَنْشُورٌ الْخَرَائِطُ وَلَا تَزَالُ تَعْتَمِدُهُ مَوْسَسَاتُ رَسْمِ الْخَرَائِطِ فِي الْعَالَمِ. وَكَانَ مَفْهُومُ الْكَوْنِ الَّذِي تَصَوَّرَهُ هَذِهِ الْخَرِيطَةُ مَقْبُولًا لِقُتْرَةٍ طَوِيلَةٍ مِنَ الزَّمَنِ، كَمَا أَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ كَانَتْ تَرَى أَنَّ عَاصِمَتَهَا هِيَ مَرْكَزُ الْكَوْنِ، وَهَذَا يَشْبَهُ اعْتِقَادَ الصِّينِيِّينَ الْقَائِلِ أَنَّ الصِّينَ هِيَ مَرْكَزُ الْعَالَمِ.

وَكُتِبَ فِي دَاخِلِ شَكْلِ بِيضَوِيٍّ إِلَى الْيَمِينِ عِبَارَةٌ بِبِلَادِ أَشُورَ، وَهَنَّاكَ إِشَارَةٌ إِلَى بَعْضِ الْمَدَنِ، وَلَكِنهَا لَيْسَتْ مَوْضُوعَةٌ عَلَى وَفْقِ تَرْتِيبِ جُغْرَافِيٍّ، وَرُسِمَتْ بِهَيْئَةِ دَوَائِرٍ كُتِبَتْ فِي دَاخِلِهَا أَسْمَاءُ الْمَدَنِ وَهَذِهِ الْمَدَنُ تَقَعُ إِلَى الْيَمِينِ وَالْيَسَارِ. وَكُتِبَتْ عِبَارَةُ الْجِبَالِ إِلَى الشَّمَالِ، فَهِيَ تَعْمَلُ عَلَى تَوَازُنِ الْإَرْضِ وَتَمْسِكُهَا عَنِ الْمِيلَانِ. وَتَكْمُنُ فِيهَا وَسَائِلُ الْحَيَاةِ حَيْثُ تَبْعَثُ الْخَضِرَةَ وَتَحْمَلُ الْمَاءَ فِي الْإَوْدِيَّةِ وَتُرْسَلُ الْإِمطَارُ. وَقَدْ رَسَمْتَ مَثَلثَاتٍ ذَاتَ ضَلْعَيْنِ مُتَسَاوِيَيْنِ أَمَّا الْقَاعَةُ فَإنَّهَا مَحِيطَةٌ وَخَارِجٌ أَوْ وَرَاءَ الْمَحِيطِ السَّمَاوِيِّ عَلَى أَطْرَافِ الْإَوْقِيَانُوسِ وَحَافَتِهِ، النَّهْرُ الْمُرُّ أَوْ الْمَالِحُ وَلَقَدْ كُتِبَ عَلَى كُلِّ مَثَلثٍ وَفِي الْقَمَةِ كَلِمَةُ نَكُو *nagû* وَيُسْتَعْمَلُ الْمَصْطَلَحُ *nagû* بِصُورَةٍ عَامَّةٍ فِي النُّقُوشِ الْمَلِكِيَّةِ فِي الْعَصْرِ الْآشُورِيِّ الْحَدِيثِ مَعَ

فارق ضئيل في المعنى سياسيا ليشير الى المقاطعات الادارية او الاقاليم وفي نصوص تعود الى عهد نابو كُدُرُّ اصر (نيوخذ نصر) الثاني ترد عبارة nagûinaqerebtiamti وهذا يشير الى ان nagû تقع في البحر (جزيرة) وقد راعى محرر الخريطة المسافة الدقيقة بين هذه الجزر اذ سُجِلت عليها المسافات فيما بينها بالساعات البابلية المضاعفة بـ *bērû* التي تقابل ساعتين من وقتنا الحاضر ويعتقد ان هذه المثلثات هي الجزر الكونية المحيطة بالعالم، وقد تحقق من الاكتشافات الاخيرة صحة ما ذهب اليه البابليون من ان اليابسة محفوفة من جميع جهاتها بالماء، ولكن البابليين لم يفلحوا في التوصل الى ان الارض كروية وقد اكتشف اليونانيون ذلك بعدهم، (سوسة، العراق في الخوارط)، ص ٥ بينما تذهب الباحثة (ايلينا كاسان) الى الاعتقاد ان هذه المثلثات يراد بها من دون شك ان ترمز الى الجبال المحيطة بالارض (وهو ما يتطابق مع التمثيل الحالي للجبال في لغة الخرائط) ومن بينها الجبل المسمى (مرخُ *marhu*) الذي يرد اسمه في ملحمة كلكامش ويكون هذا الجبل في انتظار الشمس كل يوم في خروجها ودخولها، وذكر ان قمته تصل الى حد انحدار السموات ومن الاسفل يلامس صدره الجحيم، ومن غريب الموافقات ان قارات العالم اليوم هي ايضا سبع قارات، فهل ان القوم توصلوا انذ الى مفهوم القارة والقارات السبع، وهي مقر الالهة.

اذ يضيف النص على الرقيم ان الخريطة هي للجزر او المناطق او الانجاع *nagû* السبعة، ولعل اعتقاد العراقيين القدماء بوجود هذه الجزر السبعة نابع من ولعهم واعتقادهم بسحر الرقم ٧، كالالهة السبعة والسموات السبعة والارض ذات السبعة طبقات والشياطين السبعة وغيرها. كما ان من اللافت للنظر هنا الربط بين ما سار عليه العرب في العصور الوسطى من التقسيم السباعي وهذه المثلثات السبعة في الخريطة البابلية والتي تمثل الجزر في اعتقاد الباحثين. اما التقسيم السباعي عند العرب فكان تقسيما للأراضي المعمورة من سطح الارض، والذي

اتبعه الخوارزمي لأول مرة ثم تبعه الفرغاني وسهراب والبيروني. ويقوم هذا التقسيم على الأساس المناخي أي تقسيم الأرض الى سبعة احزمة مناخية مستطيلة افقية تبدأ من خط الاستواء ومرتبة من الجنوب الى الشمال بموازاة خط الاستواء من الشرق الى الغرب. وعندما وصل هذا التقسيم الى عصر الادريسي جعله من الغرب الى الشرق، والتي تقع بين المحيط (البحر) الارضي الذي أطلق عليه البحر المر تامتُ مرَّتْ tamtumarratu والمحيط (البحر) السماوي. ان المصطلح marratu في الخريطة على عكس المصطلح tamtu، حيث غالبا ما يكتب مسبوqa بالعلامة ID الدالة على الانهار والقنوات. وهو ما يدفع الى الاعتقاد ان marratu كان يمثل كتلة مائية ضيقة نسبيا اكثر من البحر الذي لا حدود له. ويظهر على الخريطة، marratu وقد حدد على الجهتين بدوائر، كما يتضح رسمه، لم يكن اكثر اتساعا من نهر الفرات. ان هذا الخطأ في المقياس يعكس بالتأكيد عدم الدقة في هذا الجزء من الخريطة اكثر من الاعتقاد القائل ان محيط العالم كان تقريبا ضيقا بقدر نهر كبير. وعلى نحو مشابه، فان الحقيقة التي تشير الى الخطوط التي تحدد ضفاف نهر الفرات تلامس الشاطئ الداخلي لـ marratu لا تعني بالضرورة ان سكان بلاد الرافدين اعتقدوا ان نهر الفرات بدأ عند البحر الكوني.

والاشارة الى البروج التي تنتسب الى المحيط السماوي وكتبت عند المثلث الشمالي ملاحظة وصفية حول منطقة خامسة: لا ترى الشمس هنا وهذه دلالة واضحة ان البابليين على معرفة بالقطب الشمالي والظلام الذي يسوده عن طريق الامثال المنقولة او على الاقل عن طريق الاحتراز او التكهن. والخريطة بمجملها جاءت على شكل قرص محاط ببحر عريض هو البحر المر وهي التسمية التي كان يعرف بها (الخليج العربي). والخطوط المتوازية لنهر الفرات الذي يصب في الاهوار – في اللغة الأكديّة (أبارُ appāru) ويكون اتجاه بيت ياقين وهي قبيلة آرامية كانت تستوطن جنوب بلاد بابل، باتجاه اليسار الغرب اما من جهة اليمين

فقد رسمت قناة لم يعرف اسمها.

ان معثر هذه الخريطة لم يُعرف الى حد الان ولكن يحتمل ان يكون قد تأتي من بورسبا (برس نمرود) لان معلومات النسخ الخاصة باللوح تميز الناسخ الخاص للاسم ذاته الذي دون الواحاً معروفة من بورسبا بأنه منحدر من نسب الكاتب ايا - بيل - ابل ea - bel - aplu لان المعروف من وثيقة اقتصادية ان ناسخا للاسم ذاته يُمَيِّز بكونه كاتباً عائداً الى مدينة بورسبا.

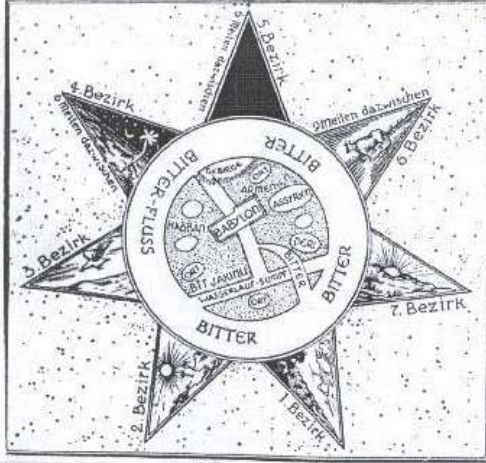
وبصدد هذه الخريطة علقّت الباحثة الاثرية جون اوتس قائلة: انها صحيحة من الناحية الطبوغرافية (التضاريسية) فاذا وضعنا فوق هذه الخريطة، خريطة من خرائط اليوم مركزها بابل فإن المثلثات الخمسة تشير بوضوح حيث هي تماماً الى ايران والقوقاز واسيا الصغرى ومصر وشبه الجزيرة العربية ونشاهد فيها كذلك النهرين والجبال والمستنقعات. ومن الجدير بالملاحظة ان معطيات هذه الخريطة تتطابق مع النص المسماري الجغرافي المعروف بـ جغرافية سرجون الذي يصف امبراطورية شروكين (سرجون) الاكدي، وكمثال على ذلك تتطابق امبراطورية شروكين في هذا النص، باستثنائها للبلدان التي ما وراء البحار، مع القارة اليابسة او البر الرئيس على الخريطة، اذ يشغل الطرف الشمالي للقارة منطقة بيضوية الشكل حُدّدت على انهاجبلأ، حيث يبدأ نهر الفرات. ولا بد ان تكون هذه المنطقة تمثل جبال تركيا الحالية، قرب منابع النهر، اما في نص جغرافية سرجون فنشكّل هذه الجبال جزءاً من جبل الارز. ونظراً لعدم وجود بلدان وراء جبل الارز في النص فمن المعقول افتراض ان كاتب نص جغرافية سرجون اعتقد ان اللسان الشمالي للمحيط الكوني marratu كان يقع وراء الجبال، تماماً عندما يجري المحيط الكوني بمحاذاة الحافة الشمالية للقارة على خريطة العالم. وربما كان وصف المحيط الشمالي مستنداً الى مواقع بحريّ المياه المالحة: البحر الاسود وبحر قزوين. اما على خريطة العالم فنجد ان المحيط الكوني يجري الى ما وراء

الحد البعيد لاورارتو (ارمينيا واذربيجان). ان الاقليم الاقصى جنوبا في جغرافية سرجون هو اقليم انشان، وهو جزء من ايران جنوب شرق بلاد بابل خلف مدينة سوسة، اما على الخريطة، فنجد منطقة تقع عند الطرف الجنوبي من الدائرة المركزية الى ما وراء بتقُ bitqu و ابارتُ appartu (قناة ومستنقع) في بابل، وتشمل على اقليم سوسة، اما فيما يتعلق بالاتجاهات فنجد ان التطابق بين خريطة العالم وجغرافية سرجون في أنه ليست هناك بلدان مدرجة الى الشرق من الهضبة الايرانية ومرخاشياو شمال شرق البلدان في جبال زاكروس. وهكذا، وقد يفترض الى حد ما ان اللسان الشرقي للمحيط الكوني كان يجري وراء هذه الاقليم تماما كما يوجد المحيط الكوني marratu على خريطة العالم وراء بلاد اشور ومدينة دير (تل العقر في بدرة حاليا). ولا بد ان تقع دلمون (البحرين) ومكان (عُمان)، البلدان اللذان يقعان وراء البحر الاسفل (الخليج العربي) في جغرافية سرجون جنوب شرقي بلاد الرافدين اسفل الخليج العربي.

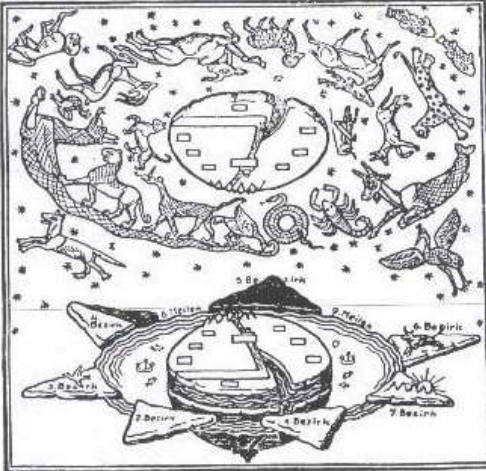
ان الاجزاء الغربية من القارات في كلا النصين (النسختين) – الاشورية والبابلية – غير موضحة تماما، فعلى الخريطة، تقع خَبان habban المدينة التي عرفت نسبة الى القبيلة الكشية المعروفة ببيت خَبان bīthabban (ربما تتطابق مع الحَبّانية غرب نهر الفرات في العراق). ولم يكن بالامكان تحديد ملامح اخرى على الخريطة. فان المنطقة هلالية الشكل تمتد من الضفة الشرقية لنهر الفرات الى marratu ربما تمثل ذراع المحيط ليتم من خلال ذلك الفصل بين بلاد بابل جنوبا عن بلاد عيلام حيث ان البقايا الداخلية في الشكل لا يمكن استرجاعها [ma] r – ra– [tum] وعلى اية حال فان هذا الهلال يفترض ان يكون ذراعا لنهر الفرات [p] u – ra– [tu]، او قناة او حتى طريقا [ha] r – ra– [nu] تتفرع من النهر الى الساحل.

وعلى نحو مماثل، يدرج نص جغرافية سرجون مدنا (مواقعا) عديدة شرق دجلة ولكن اربع مدن فقط هي غرب الفرات بازا، ميلوفا، خانو، امورو.

تقع بلدان اناكو (قبرص او اليونان) وكبتارا (جزيرة كريت) ودلمون (البحرين) ومكان (عُمان) في (جغرافية سرجون) تماما كما تظهر نكو nagû -

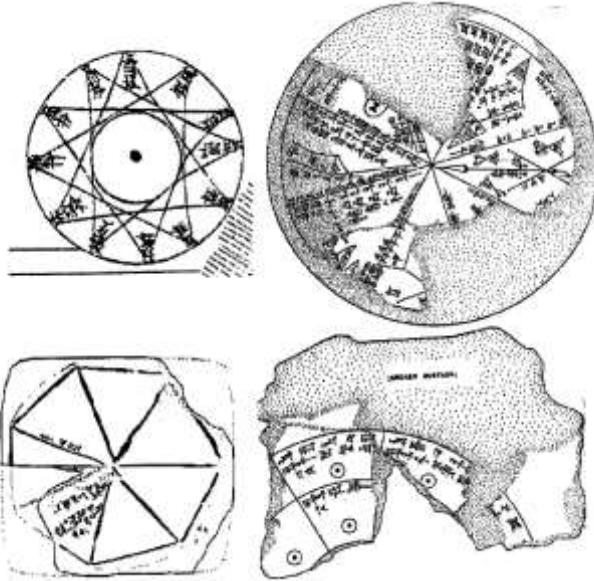


نجع- أي الجزيرة، مرسومة عبر المحيط الكوني marratu على خريطة العالم، اما في جغرافية سرجون، فربما تقع هذه البلدان الخمسة قرب اطراف سطح الارض، لانها البلدان الابعد المتضمنة في النص، وتبين جغرافية سرجون ان امبراطورية شروكين شملت جميع البلدان التي تحت السماء حسب ادعاء شروكين، ويتلاءم وضع مكان وميلوفا في اطراف (نهايات) سطح الارض تماما في اسطوانة كوديا، إذ توضع هذه البلدان في AN. ZÀ الافق: باسمها اسم E - NINNU تجتمع البلدان الاجنبية من الافق. تنشأ مكان وميلوفا من ارضهما.



خريطة العالم البابلية

ولم يقف نشاط منشئي ومحرري الخرائط (الكارتوكرافيين) البابليين القدماء عند رسم الخرائط الارضية للمدن والعالم والاراضي الزراعية وغيرها فحسب، وانما تعدى ذلك الى صنعهم خرائط ذات علاقة بالجغرافية الفلكية حيث خلفوا لنا خرائط سموها ب الاسطرلابية وهي عبارة عن رقم منقوشة بثلاث دوائر ذات مركز واحد ومقسمة بوساطة اثني عشر نصف قطر وفي كل قسم من الاقسام الستة والثلاثين المؤلفة لذلك يوجد اسم برج مع بعض الارقام، ان الغاية من هذه الاسطرلابات ليست واضحة تماما غير انه من الواضح انها تشكل نوعا من خرائط السماء وانه من المحتمل انها كانت ترتبط باصل دائرة البروج وان الارقام المذكورة في الاسطرلابات ترتبط مع بعضها البعض بمتواليه عديدة. فقد وصلتنا مجموعة من الخرائط الفلكية في العصر البابلي الحديث التي تحدد مواقع النجوم والابراج وغيرها مما له علاقة بالجغرافية الفلكية. ويتضح مما تقدم ان البابليين القدماء كانوا اول من وضع اسس علم وفن الخرائط Cartography وعلم المساحة والمخططات.



مصادر منتخبة:

- ١- الجميلي، عامر: المعارف الجغرافية عند العراقيين القدماء، أطروحة دكتوراه منشورة ضمن إصدارات دار المشرق الثقافية في دهوك/ العراق، ٢٠١١.
- ٢- الراوي، فاروق ناصر: الجغرافية، في (العلوم والمعارف)، حضارة العراق، ج٢، بغداد، ١٩٨٥.
- ٣- سوسة، أحمد: العراق في الخوارط القديمة، منشورات المجمع العلمي العراقي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٩.